بعد تذكر للجلال المتسع ودفع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق بعد ان كان يحذر من طوارق
الخطرات وكذلك اذا استقبه الضحى او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلع عليه
فيسقط قبوله اتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء او ربما زاد في الاوراد والاعمال والشيطان
يخيل اليه انك انما تفعل هذا لئلا تفتر واعرض عن قوله فيه تخوف الطرق ... على ابائها وهله
خدعة من الشيطان وغرور بل هو خلع من النفس خيفة من فوات الرياسة ولذلك لا تنخدع
نفسه من الاطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحبه ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه
من مالت القلوب الى قبوله اكثر منه لشق عليه ولولا ان النفس استلذت الرياسة لكان
يغتنم ذلك ويفرح به اذ مثاله من حال رجل جماعة من اخوانه وقعوا في بئر وغطي راس
البئر بحجر عظيم فعجز والعز النزول من البئر فوقعه لاخوانه فجاء البئر فرفع الحجر فشق عليه فجاء
من اعانه على ذلك حتى تيسر رفعه او كفاه ذلك ورفعه بنفسه فكان سبيله
ان يعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص
اخوانه من النار فاذا ظهر من اعانه وكفاه ذلك لم يثقل عليه اذ كان غرضه هدايتهم
فاذا اهتدوا بانفسهم او بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان
الى جميع كباير القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد
الاهتدا ومن اعوجاج النفس بعد الاستوا فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح
الخلق فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه
او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع طمعه بالكلية من ثنائهم ومالهم فاستوى عنده حمدهم
وذمهم فلم يبال بذمهم اذا حمده الله ولم يفرح بمدحهم اذا لم يقترن به حمد الله ونظر
اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى
كلا منهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطع طمعه عن طلب
المنزلة عندهم فانه لا يبالي منها ولا يتزين لها بل راعي الماشية غرضه رعايتها ودفع
الذيب عنها دون نظر الماشية اليه فمن لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت
لنظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم ثم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه هو

٨٦

باصلاحهم فيكون كالشمع يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك اهل الوعظ الوعظ
الا عند هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك العالم وبطل المعايش وهلكت القلوب
والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا
لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا يخرب الدنيا بتركهم لها فلم يترك
النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات
المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق
القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة
بحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق
الشرب والزنا والسرقة وساير المعاصي لقول الله ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك
وكن فارغ القلب من حديث فان لله سبحانه خلقا كثيرا يا فساد شخص واحد واشخاص ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر و
باقوام لا خلاق لهم فانما تخشى ان ينبسط طريق الاتعاظ فاما ان يخرس السنة الوعاظ دورا
باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه
المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شروط الصدق
والاخلاص فما الذي يخاف عليه وما الذي يبقى بين يديه من الاغترار فاعلم انه قد بقي
عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له اهالك لقد اعجزتني وافلت من يدي بذكائك
وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء وما قدرت عليك فما اعظم محلك عند الله
اذ قواك [illegible] من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه
ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اصغاؤه اليه وتصديقه له والعجابة في نفسه
بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم خطر ذنب ولذلك قال الشيطان
يا ابن ادم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك وقعت في حبائلي فان قلت
فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان

Copyright © King Saud University